مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
المجلد 16 العدد1 (2023): 142 –160 ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892

الفكر الديني روافده ونقده في المجتمع الغربي

The tributaries of religious thought and criticism in Western society

أفلح بهون علي[1]، عبد القادر بوزيدة[2]

1- جامعة الجزائر2 ،كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، مخبر الترجمة والمصطلح. aflahba77@gmail.com

2- جامعة الجزائر2 ،كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، مخبر الترجمة والمصطلح. babdelka@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/03/25 تاريخ القبول: 01/04/ 2023 تاريخ النشر : 2023/06/07

ملخص:

لدى معظم الأمم، يشكل الدين الحصن المنيع لمجموع المعارف والأفكار والمعتقدات التي تماهت مع قداسته، فكان نقد الدين عنصرا محوريا في الفكر الغربي، وتشكلت بذلك هوية ومنظومة دوغمائية أصابت العقل الغربي بشلل معرفي لزم هذا العقل طيلة فترة القرون الوسطى. إن مجرد تعريض الدين لآلية النقد، يعني وضع هذه المنظومة بأكملها أمام المساءلة والتشكيك، والمطالبة بتحرير العقل من سجن هوية أصبحت تشكل عبئا على تطور أوروبا التواقة لعصور واعدة، فنقد المنظومة الدينية تشير إلى تحولات أساسية في فكر التنوير وأعلامه.

كلمات دالة: الفكر، الدين ، النقد، الهوية ، الخطاب ،

المؤلف المرسل: أفلح بهون علي: aflahba77@gmail.com

Abstract:

Religion was the bulwark of all knowledge, ideas, and beliefs that identified with his holiness, so criticism of religion is a pivotal factor in Western thought, so an identity and a dogmatic system that struck the Western mind formed a cognitive paralysis that bound this mind throughout the medieval period. The mere exposure of religion to the criticism mechanism means putting this entire system in front of accountability and skepticism, and demanding the emancipation of the mind from the imprisonment of an identity that has become a burden on the development of Europe eager for promising ages. Criticism of the religious system indicates fundamental shifts in Enlightenment thought and its flags.

Key words: Thought , Religion , Criticism , Identity , Discourse

جدلية اللاهوت والعقل في العصور الوسطى.

يعد نقد الدين عنصرا محوريا في الفكر الغربي، فقد شكل الدين الحصن المنيع لمجموع المعارف والأفكار والمعتقدات التي تماهت مع قداسته وشكلت هوية ومنظومة دوغمائية * أصابت العقل الغربي بشلل معرفي لازم هذا العقل طيلة فترة القرون الوسطى. ومجرد تعريض الدين للآلية النقد، يعني وضع هذه المنظومة بأكملها أمام المساءلة والتشكيك، والمطالبة بتحرير العقل من سجن هوية أضحت تشكل عبئا على تطور أوروبا التواقة لعصور واعدة، فنقد المنظومة الدينية يشير إلى تحولات أساسية في فكر ما بعد العصور الوسطى وأعلامه، يشير تارناس إلى ذلك الجو الذي ساد أوروبا طيلة القرون الوسطى والمشبع بروح مسيحية مستحكمة عبرت بامتياز عن سمة جوهرية صبغت تلك العصور.

يقول تارناس: (إذا نظرنا الآن استعاديا إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في أوج مجدها أواسط العصور الوسطى، حيث أوروبا كلها تقريبا كاثوليكية، وحيث تاريخ البشرية متركز رقميا على ميلاد المسيح، وحيث بابا روما هو الحاكم الروحي، بل والزمني في الغالب، وحيث جماهير المؤمنين مشبعون تقوى مسيحية، وحيث الكاتدرائيات القوطية البديعة منتصبة، وحيث فيض الأديرة

والكنائس، والكتبة والباحثون وآلاف الرهبان، والخوارنة* والراهبات، وحيث الرعاية المنتشرة على نطاق واسع للمرضى والفقراء، وحيث الشعائر المقدسة، والأعياد العظيمة بمواكبها ومهرجاناتها، والفن الديني المجيد للتراتيل الغريغورية*، وجملة المسرحيات الأخلاقية المستمدة من قصص الإعجاز، وشمولية اللغة اللاتينية على الصعيدين الطقسي والبحثي، والحضور الكلي للكنيسة والتدين المسيحي في جميع ميادين النشاط الإنساني هذا كله لا يسعه إلا أن يثير قدرا معينا من الإعجاب بضخامة وعظمة نجاح الكنيسة في بناء صرح ثقافي مسيحي كوني شامل وفي أداء رسالتها الأرضية ومهما كانت صحة المسيحية الميتافيزيقية الفعلية، فإن الاستمرار الحي للثقافة المتمدنة الغربية بالذات مدين بوجوده لحيوية وانتشار الكنيسة المسيحية في طول أوروبا في القرون الوسطى)[1] (ريتشارد تارناس،2010،ص205)

يقدم لنا هذا الوصف الدقيق الذي قدمه تارناس، أوروبا، حيث كل شيء فيها، مسبوغ بإحكام بصبغة دينية مسيحية متزمتة. فقد عرفت تلك العصور احتكار الكهنة للثقافة الذهنية، واتخذت الثقافة نفسها سمة لاهوتية في جوهرها، كذلك بقيت السياسة والتشريع بين أيدي الكهنة، شأن كل العلوم الأخرى، مجرد فرعين من فروع علم اللاهوت، وأصبح البحث فيهما يجري وفق المبادئ المطبقة في اللاهوت،[2] (كارل ماركس ،1981،ص77) وقد كان هذا كفيلا بكبح قوى التغيير والتجديد. بحيث لم يعد بمقدور تلك المنظومات التحليق بعيدا عن فلك رؤى رجال الدين. ولم تمتلك على مر القرون الوسطى رؤية مستقلة عن الرؤية التي كانت ترتئيها السلطة الدينية. ذلك أن العقل والعلم في القرون الوسطى وعند السكولائيين كانا مجرد خادمين خانعين للّاهوت*؛ فقد سعى اللاهوتيون لتوظيفهما من أجل فهم وتبرير قضايا الإيمان، هذا ما أكده توما الإكويني بقوله: «إن ما يفيدنا به العقل لا يمكن أن يكون معاكسا لما يوحي لنا به الإيمان، فالعقل لا يجب أن يعلو على الإيمان ولا أن يسبقه».

كان هذا الواقع حينها مقبولا إلى حد بعيد؛ لكن دخول بعض المتغيرات الخارجية والداخلية؛ كالفتوحات التي قام بها المسلمون في ربوع أوروبا، ثم انتقال علومهم وعلوم اليونان إليها، وسقوط القسطنطينية، وتعاظم هيمنة السلطة الزمنية للكنيسة الكاثوليكية* على ممالك أوروبا، مع هيمنة السلطة الدينية الكهنوتية على باقي المنظومات؛ الفكرية والاجتماعية، كل ذلك أدى إلى خنق أفق التفكير والتغيير. ذلك أن التناقضات العميقة الكامنة في الرؤية المسيحية نفسها ـ جملة التواترت والمفارقات الداخلية الكثيرة المتجذرة في منابع المسيحية المتعددة من ناحية وفي الطابع الدياكتيكي

للتركيبة المسيحية من ناحية ثانية ـ هي التي كان من شأنها أن تظل دائبة وباطراد على تعطيل نزوع العقل المسيحي إلى دوغمائية توحيدية ضامنة، من ثم ليس فقط حركيتها التاريخية العظيمة، بل وتحولها الذاتي الجذري أيضا مع مرور الزمن[3]. (ريتشارد تارناس،2010،ص206)

لقد كانت المسيحية من بدايتها حاملة لبذور فنائها ذلك أنها ـ كما يؤكد فويرباخ ـ ربطت نفسها بقوى تحرم الدافع الأساسي للجنس البشري[4]،(فويرباخ،2007،ص335)بكل ما تضمنه من مفارقات وتناقضات، لقد حققت المسيحية أقصى إمكانياتها كمشروع حضاري في العصور الوسطى حيث توافرت لها هناك تربة خصبة. لقد كانت المسيحية في نشأتها ضرورية بسبب دورها التحريري؛ لكن مع الوقت تبين أن دور السلب الذي قامت عليه لم يعد كافيا. يقول فويرباخ: (ومع ذلك فإن الدين يحافظ على نفسه فقط إلى المدى الذي يكون فيه معناه الأصلي ومقصده محتفظا به، كل دين في بداية نشأته يكون نارا، وطاقة وحقيقة، يكون عنيدا، وصلبا تماما، وبمرور الزمان فإنه يفقد حيويته، ويصبح مرنا غير مبال وغير صادق مع نفسه، ويسقط ضحية العادة)[5]. (فويرباخ،2007،ص335) لقد تعرضت الكنيسة الكاثوليكية لتحديات مربكة فبعد تعاظم سلطانها الزمني، عرف هذ السلطان انحسارا وتقهقرا. كل هذا عجل في انحلال وتلاشي العلاقات الوطيدة التي كانت تربط السلطة الكنسية بباقي المنظومات.

بداية التحولات الكبرى.

مع مرور الوقت ودخول متغيرات جديدة تبين أن هناك العديد مما يتوجب تغييره، لقد اكتشف ماكيافلي (1496-1527) هذا باكرا من خلال رؤيته العلمانية لمنظومة الأخلاق السياسية، ومن خلال نقده للأخلاق المسيحية، يقول يوسف كرم متحدثا عن ميكيافلي: (فيرى أن القدماء كانوا يحبون الجاه والصحة والقوة البدنية، وكانت دياناتهم تخلع هيبة إلهية على القادة والأبطال والمشرعين، أما المسيحية فإنها على العكس ترجئ غاية الإنسان إلى الآخرة، وتحث على الإعراض عن الجاه الدنيوي، وتمجد التواضع والنزاهة، وتضع الحياة النظرية الباطنة فوق العملية الظاهرة، فأوهنت عزيمة الإنسان، وأسلمت الدنيا لأهل الجرأة والعنف، فهي نافعة وضرورية للجمهور فقط المطلوب منه الطاعة، ويجب على الحاكم أن يحميها ويؤيدها حتى ولو اعتقد بطلانها)[6](يوسف كرم،2012ص33) إن دعوة ميكيافلي الحاكم لضرورة حماية تلك العقيدة، ضرورة من ضرورات فن الحكم، ذلك أن الرعية مع عقيدة تكرس الإعراض عن متاع الحياة الدنيا، وتعلق وتؤجل هذه المتع إلى الآخرة، ستكون أسهل وأطوع انقيادا، وهل يريد الحاكم غير هذا؟! يحذر ميكيافلي الحاكم من

أخلاق العجز والوهن التي كرسته المسيحية، ويحفزه على التحلي بأخلاق القوة والغلبة كما عرفها القدماء، الذين أضفوا على أبطالهم صفات وقدرات الآلهة، أو قد حولوهم إلى آلهة تقديسا للقوة والبأس، وفي هذا تمثيل للروح اليونانية التواقة للاقتران بالمطلق. وهي الروح التي ضاعت بانهيار العالم القديم؛ لكن إلى أي مدى يمكن للحاكم أن يستأثر بهذه الأخلاق لوحده؟ استمرار هذه الأوضاع على ذلك الحال لم يكن بالرهان السهل، فهناك إصرارا بدى متناميا لدى الجماهير بضرورة المطالبة بمزيد من التغييرات، للخروج من حالتي الإعراض والتعليق، الذين تشهدهما حياة الإنسان الأوربي في نهايات القرون الوسطى.

لم يكن التحول من جاهلية العصور الوسطى إلى العصر الحديث سهلا، بل كان صراعا طاحنا، ومعارك وانقسامات واتهامات بالكفر والزندقة، وأحكاما بالقتل والحرمان. وبدأ التحول تدريجيا بين صعود وهبوط، ولكنه استمر واتصل، فخلال القرون الوسطى الطويلة، بدأت تتشكل حالة نضج جبارة، تحققت داخل البنية المسيحية على جميع الجبهات، الفلسفية، والسايكولوجية، والدينية، والعلمية، والسياسية والفنية، فلقد عرفت القرون التي هيمن فيها الفكر السكولائي على الغرب، إعادة بناء التقليد العلمي والفلسفي، وتم فيها اختباره وامتحانه، مما مكن من الوقوف على نقاط ضعفه ومواطن زلله. لقد كانت العصور الوسطى بروافدها: كنيسة روما الكاثوليكية، وحيوية الشعوب الجرمانية(البرابرة)، مع التأطير البيزنطي الإسلامي؛ مدة حمل ذات شأن لا يستهان به. فالنظرة العالمية المسيحية الغربية الحديثة خرجت من رحم النظرة الكلاسيكية اليونانية.

وإذا كان السكولائيون ظلوا ـ لأسباب معينة ـ عاجزين عن تجاوز أو رفض العلم الأرسطي جملة وتفصيلا، فإنهم على الأقل نبهوا إلى مساوئه وإلى ثغراته، مما سيتحول إلى نقط بحث ناجعة بعد العصر الوسيط.

فمع حلول أوج العصور الوسطى المتأخرة، كان هذا التطور بادئا بتحدي حدود تلك البنية. كان النمو الاجتماعي والاقتصادي الخارق، قد وفر أساسا رحبا لمثل هذه الحركة الثقافية، التي لقيت مزيدا من الحفز وقوة الدفع، جراء قيام أنظمة الحكم الملكية العلمانية المتنافسة مع الكنيسة بتعزيز سلطاتها السياسية.[7](ريتشارد تارناس،2010،ص264)

يقول فويرباخ: (تتميز العصور التاريخية للجنس البشري عن بعضها البعض إذن على أساس التغييرات الدينية، ويمكن فهم أصول الحركة التاريخية فقط إلى المدى الذي يتم فيه اكتشافها في

قلب الإنسان، والقلب ليس شكلا (إطارا) للدين، بل هو الجوهر الحقيقي له)[8](فويرباخ:،2007،ص334)

يؤكد ماركس على أهمية نقد الدين ـ مثلا في ألمانيا القرن التاسع عشر. كعامل حاسم في تحريك عجلة التغيير لدى باقي المنظومات والحقول المعرفية، فنقد الدين هو القاعدة والأساس لأي نقد. يقول ماركس: «في ما يتعلق بألمانيا، لقد انتهى، من حيث الأساس، نقد الدين، ونقد الدين هو الشرط الممهد لكل نقد».[9] (كارل ماركس،1981،ص33) هذا ما يؤكده أيضا ميشال فوكو، عندما يعلن أن مساحة الحرية الناتجة عن نقد الدين، والقول بـ"موت الإله"، قد ساعدت إلى حد كبير، على ظهور أنظمة سياسية وأخلاقية كبرى، من أبرزها الماركسية والوجودية والنتشوية.

الإصلاح البروتستانتي*

يردّد المؤرخون والمهتمون بالتاريخ الديني لأوروبا مقولة، مفادها أنّ العصر الوسيط ظاهرة كاثوليكية، بينما العصر الحديث ظاهرة بروتستانتية. ومسألة العصر أساسية لفهم هذا الأمر، لأنّها تحيل إلى سياق تاريخي كثيف يفسر كيف حصلت عملية إصلاح المنظومة الدينية، خلال القرنين الخامس والسادس عشر، وكيف أفرزت واقعا تاريخيًّا كان له كبير الأثر في التأسيس لأفكار جديدة أكثر جرأة، في مجمل تفاصيل الحياة الاجتماعية والفكرية لأوروبا، خاصة في المرحلة اللاحقة المعروفة بعصر الأنوار.

لقد كان الإصلاح اللوثري* في خطوطه العريضة ـ حسب هيغل ـ طبعا من منطلق انتمائه البروتستانتي ـ سعي لتأسيس حرية الروح: «ما زرعه لوثر في القلوب كان حرية الروح».[10] (دوريندا أوترام،2008،ص128)

لقد بدأ الإصلاح البروتستانتي ـ على الأقل ـ بزعم مؤداه أنه يجب على كل فرد أن يكون حرا في أن يقرأ الكتاب المقدس ويفسره لنفسه، وأن يصلي لله، ويتلقى غفرانه والعفو منه دون صكوك ودون توسط الكهنة، والقديسين، والأسرار المقدسة.*

لقد ارتبط الإصلاح الديني بتحولات اجتماعية وفكرية وسياسية شاملة، أدخلت أوروبا في الأزمنة الحديثة، في إطار ما يصطلح عليه بالنهضة. وقد لعبت المدينة دورا كبيرا في هذه التحولات. لقد شكلت المدينة فضاء جديدا يسعى إلى التحرر من رباق الإقطاع والكنيسة، فعلى المستوى الاجتماعي بدأت أرستقراطية تجارية جديدة، تنافس أرستقراطيات الكنيسة ونبالة الأرض القديمة، كانت البورجوازية هي حاملة مشروع التغيير، وكانت التجارة أداتها في ذلك، وانفتحت على العالم

عن طريق الكشوفات الجغرافية، ورفعت شعار العقل. كما شهدت المدينة نشأة الجامعات إثر تلاحم المدارس التي صارت تبتعد عن اللاهوت، وتدرس معارف جديدة ذات صلة بالقانون والفلسفة، وأيضا اهتمت بالفيلولوجيا* التي مكنت من تتبع التحريفات الحاصلة في الإنجيل بالرجوع إلى النص الأصلي المكتوب باللغة الإغريقية. خصوصا عندما اضطلعت بهذا الدور أولى الجامعات في أوروبا جامعتي باريس وأكسفورد في نهاية القرن الثاني عشر. لتتعدد بعدها الجامعات في مختلف ربوع أوروبا الغربية والوسطى. لقد انطلق الإصلاح من داخل الكنيسة عل يد رجال دين من أهمهم الإنجليزي جون فيكليف (توفي سنة 1384 م) الذي كان أستاذاً بجامعة أكسفورد، والتشيكي جون هوس (توفي سنة 1415م) الذي شغل منصب عميد كلية اللاهوت بجامعة براغ، والألماني مارتن لوثر (توفي سنة 1546 م) الذي درّس بجامعة فيتنبورغ، والفرنسي جون كالفن (توفي سنة 1564) مؤسس جامعة جنيف. ذلك أنّ المصلحين الدينيين كانوا في الأصل رهباناً، إلا أنهم تابعوا دراسات جامعية، وتلقوا تكويناً جديداً يقوم على القانون والفلسفة والفيلولوجيا، ما أهَّلهم للوقوف على الثغرات والمفارقات التي بات يعج بها اللاهوت الكنسي وتشريعاته العقدية. فضلاً عن أنّهم استطاعوا الحصول على مقاعد لتدريس هذا اللاهوت في عديد من الجامعات ما فتح الباب على مصرعيه للإثارة نقاشات جادة، كان لها عظيم الأثر في بلورة وعي الكثير من الطلاب والرهبان.

لقد أدى ظهور حركة الإصلاح الديني، إلى فك الارتباط مع المركزية السلطوية للبابا، فلقد قام هؤلاء الرهبان الفلاسفة، بزعزعة العقيدة المسيحية، بإنشائهم الكنائس المستقلة، وقد رأى الملوك في ذلك فرصة للتحرر من التبعية الروحية، وأيضا فرصة لقضاء مآربهم، فناصروا هؤلاء المبتدعة، وقد سارع ذلك في ميلاد الدولة القومية التي تعاظم فيها نفوذ رجال القانون على حساب رجال الدين، وقد تبوأ هؤلاء مناصب حساسة كمستشارين للملوك، كاسرين الطوق الذي فرضه رجال الدين حول ا لملك، كما يتضح ذلك مثلاً في البلاط الإنجليزي لما اتجه مستشارو هنري الثامن، وفي طليعتهم توماس كرانمر*، إلى تحكيم مسألة سيادة الدولة في الصراع مع البابا كليمانتي السابع (سنة 1534م). لم تمر كل هذه الأحداث بسلام، فكان القرن السادس عشر من أشد القرون اضطرابا وفوضى.

الحركة الإنسانية.

عرف القرن السادس عشر تنامي حركة أدبية وفكرية عرفت بالإنسانوية*، مجدت العقل ومنحت قيمة إنسانية للفرد، ونادت بحريته، وعملت على إحياء التراث القديم وخاصة اليوناني والروماني. وقد كان من أهم عومل نشأتها: الأهمية التجارية لإيطاليا مهد منشأ هذه الحركة، ظهور الطبقة البرجوازية التي عملت على تشجيع الحياة الثقافية والفنية، هجرة العلماء، سقوط القسطنطينية وهجرة علمائها (سنة 1453م). ولقد كانت بين إيطاليا والقسطنطينية علاقات ثقافية ترجع إلي القرن الثالث عشر، وكانت هناك تبادلات تجارية وثقافية برعاية أمراء إيطاليا، وتوثقت هذه العلاقات في القرن التالي من جرَّاء نشاط التجارة بين البلدين ومحاولات التقريب بين الكنيسة اللاتينية والكنيسة اليونانية، فنشط تعلم اليونانية والنقل منها إلي اللاتينية، وتكاثر في إيطاليا عدد الأدباء والعلماء البيزنطيين بعد سقوط القسطنطينية، وقد كان ذلك دافعا لإحياء أمجاد الماضي، حتى صار الشغف بالفلسفة والأدب القديم، الأدب اللاتيني الملقح باليونانية ظاهرة رائجة في القرن الخامس عشر، ومن إيطاليا انتشر فكر الإغريق والرومان في شتى ربوع أوروبا، لقد كانت هذه الحركة ثورة تصبوا إلى استرجاع الثقافة الكلاسيكية، وثورة على ذلك المركب المزجي المشؤوم (الكلاسيكومسيحي) بكل مفرزاته الثقافية والاجتماعية المثخنة بفكر مسيحي متزمت. ولقد كانت للطباعة اسهاماتها في نشر هذه الثقافة المسترجعة.

كان المزاج الفكري في ذلك الوقت يدفع بكل قوة لاسترداد تلك الثقافة القديمة التي تنضح بالوثنية من كل جانب، فانتشرت الوثنية في الأفكار والأخلاق، ورأى فيها فريق كبير من الغربيين صورة إنسان الفطرة والطبيعة التي لم تدنسه لوثة العقيدة المتزمتة بمعناها الشرقي، واعتبروا بعث التراث الكلاسيكي كفيل وحده بتكوين الإنسان الغربي بمعنى الكلمة، وإعادة إحياء أمجاد الماضي، فسميت هذه النزعة بالإنسانية أي المذهب الإنساني، وسميت الآداب القديمة بالإنسانيات.

وقد مثل هذه الحركة مجموعة من المفكرين ورجال الدين لعل أبرزهم، الهولندي إراسم (إيراسموس)* والفرنسي فرانسوا رابليه** والإنجليزي توماس مور*** والألماني أولريش فون هوتن. وقامت هذه الحركة الأدبية باستعادة وإحياء التراث الفكري الإغريقي والروماني القائم على تحكيم العقل، وسيادة القانون. كانت طموحات الحركة الإنسانية حتى بداية القرن السادس عشر تنطلق من ضرورة تحقيق الوحدة الدينية في المسيحية، نشر ثقافة التسامح، ثم الانتقال إلى تحقيق الوحدة الدينية بين شعوب الأرض؛ لكن مع ظهور لوثر، بدأ الوضع يتغير وأضحت الوحدة المسيحية

على مستوى العقيدة أمرا بالغ التعقيد، وكان أحد أهم أهدف إراسم هو العمل بجهد لمنع انهيار هذه الوحدة.

رغم دفاع إراسم في البداية عن لوثر وترحيبه بأطروحاته الخمسة والتسعين التي علقها على دير ويتنبرغ؛* ورغم أنه توافق في كثير من الجوانب مع لوثر، خصوصا في ما يتعلق بضرورة تجديد المسيحية وتخليصها من شوائبها ومن عقيدتها الجامدة، وذلك بالعودة إلى النصوص الأصلية للكتب المقدسة والفهم الخاص للكتاب المقدس (الفحص الحر) بغير حاجة لوسيط روحي، والحد من هيمنة المؤسسة الكنسية في شكلها القائم آنذاك، وجشع رجالاتها (الاحتجاج على الغفرانات)؛ إلا أنهما اختلافا حول عديد القضايا.

لقد كان لوثر رافضا للنظرة التفاؤلية التي تقول بقدرة الإنسان على معرفة قوانين الله معرفة حدسية، والذي يشكل تعارضا شديدا مع التومائية الكاثوليكية الرسمية، وتعارضا مع النظرة العالية لفضائل الإنسان التي عممها الإنسانيون وفي مقدمتهم إراسم. هذا ما جعل إراسم يعيد تقييم موقفه من لوثر.

كان سؤال إراسم هو: هل في إمكان الإنسان أن يساهم بعقله وخبرته في خلاصه، أي باختياره بين الخير والشر؟ أم أن هذه الملكة لا وجود لها أو بالأحرى لا يستحقها البشر بسبب استغراقهم في مستنقع الآثام والخطيئة الأزلية؛ فوحده الله هو المخلص بنعمته وفضله؟ تبنى إراسم الموقف الأول بخلاف لوثر الذي تبنى الموقف الثاني.

نشر إراسم بحثا بعنوان "حرية الإرادة"، يؤكد فيها حرية الإنسان في معرفة القوانين الإلهية، فرد لوثر عليه ببيان حمل عنوان "عبودية الإرادة"، وفيها طرح فكرة تأصل الشر في الإنسان تأصلا قبليا بالخطيئة الأصلية، ولا رجاء للبشر في الخلاص إلا برحمة من الرب. بذلك رفض لوثر مفهوم إراسم حول حرية الإرادة بما هي قدرة الإنسان على تحقيق سبل خلاصه الأبدي، وهو بذلك قد أسس لحتمية جبرية صارمة، فمصير الإنسان قد تقرر منذ الأزل إما النجاة وإما اللعنة.

رغم كل الاختلافات بين الرجلين إلا أن توجهيهما: الإنساني والاصلاحي، كانا الرافدين الأساسيين لنقد الدين في الفكر الغربي، إن الحركة الإنسانية في جوهرها لا تعتبر كتيار علماني بل كرؤية إنسانية للدين، إنه الدين في حدود مجرد الإنسانية. والإنسانية هنا قائمة في استقلالية الإنسان الأخلاقية عند إراسم الذي همش مسألة الخطيئة الأولى لتأكيد الاستقلالية الأخلاقية للإنسان، لقد عملت هذه الحركة في تواز مع حركة الإصلاح ـ مع تقاطعات في بعض المواضع ـ

على الدعوة للتسامح الديني، والتخفيف من الغلو في العقيدة، والتأكيد على استقلاليتها عن الدولة، وإعادة الاعتبار للإنسان في العلاقة: الله، الإنسان، الكون.

باختصار، همشت النزعة الإنسانية الخطيئة الأولى التي حكمت التاريخ المسيحي الوسيط بمجمله، وأكدت على الحرية الإنسانية والعودة إلى الإنسان مقابل الدعوة اللوثرية للعودة إلى النص المقدس. إنها محاولة لاستدعاء ذلك الموروث البائد الذي عرف عند الإغريق، النزعة الوثنية المتأنسنة، وأيضا ذلك التوجه الذي عرفته الفلسفة الإسلامية في إثارتها لإشكاليتي النقل والعقل وفكرة القدر، خصوصا عند المعتزلة، والذي عملت القرون الوسطى الأوروبية على طمس ملامحهما.

لقد أدى اختراع المطبعة بشكل محوري إلى نشر أفكار هؤلاء المفكرين، تماما مثل الدور التي تقوم به الآن وسائط التواصل الاجتماعي، في كسر الحصار الذي فرضته وسائل الإعلام التقليدية المملوكة لأجهزة السلطة على حرية المجتمعات، لقد ساهمت الطباعة في ذلك الوقت في بلورة الثقافة الجديدة ونشرها في جميع أرجاء أوروبا. ورافق هذه الحركة، أيضا، ارتقاء اللهجات المحلية، إذ ترجم الإنجيل إلى معظم اللهجات الناشئة: الألمانية والإنجليزية والفرنسية... إلخ.

فلاسفة التسامح.

بفضل مجهودات العديد من الفلاسفة والمفكرين الطلائعيين، تنامى لدى الناس الكثير من الأسى والاستنكار، إزاء ضروب القسوة وأشكال العنف، التي دفعهم إليها التعصب الديني. بفضل مجهودات النزعة الإنسانية أضحوا يتساءلون عن جدوى كل هذا الغلو والتعصب في العقائد، والذي لم يجر على الإنسان الأوروبي سوى الويلات والآلام، وهنا يتساءل فولتير: (هنالك من يدعي أن النزعة الإنسانية والتسامح وحرية الضمير أمور رهيبة؛ ولكن هل كانت ستتسبب في مثل تلك الكوارث؟ لنجب بصدق عن هذا السؤال).[11] (فولتير،2009،ص28)

لقد جربت أوروبا منذ التقائها مع المسيحية شتى أنواع الإرهاب الديني، من الحملات الصليبية، إلى محاكم التفتيش، إلى حروب ومحارق طائفية، لكن ماذا استفادت؟! لا شيء! سوى الدمار والخراب!! ما الذي يمنع من طي صفحة العنف المسعور الذي يدفع إليه العقل اللاهوتي المتزمت، والانتقال لعالم يملئه السلام والطمأنينة والتسامح؟ كان فولتير مهموما بالشقاق الديني الذي كان سائدا في أوروبا عل الإطلاق وفي فرنسا على التخصيص، وكان يقصد بالتسامح الديني بمعنى إنه ليس من حق أحد أن يقتحم، باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية، لذا فإن فن الحكم ينبغي ألا يحمل في طياته أية معرفة عن الدين الحق.

لقد استشعر فولتير متفائلا تغيرا في ذهنيات الناس، خصوصا بعد ما تكبدوه من مآسي وفواجع، جراء الصراعات والنعرات الطائفية على مر القرون الأربعة الأولى من الألفية الثانية، أو لنقل منذ بداية التقاء أوروبا بالمسيحية. بدأ الناس يتساءلون وينظرون بنوع من الاستنكار والاستهجان، من جدوى التعصب، والغلو، والتزمت.* يقول فولتير: (إن العنف المسعور الذي يدفع إليه العقل اللاهوتي المغلق، والغلو في الدين المسيحي المساء فهمه، قد تسببا في سفك الدماء وفي إنزال الكوارث بألمانيا، وبإنكلترا، بل حتى بهولندا، بقدر لا يقل عما حدث في فرنسا).[12] (فولتير،2009،ص31)

لقد أضحى الحديث عن التسامح والتآخي حتمية وضرورة، ليس فقط لضمان الاستقرار والأمان، لكن أيضا ضرورة حيوية لضمان بقاء الإنسان الأوروبي، خصوصا مع تصاعد المد العقلاني الذي بدأ بإعادة تشكيل وجه أوروبا القروسطية كما يشير فولتير: (أفلم يفعل عامل الزمن، وتقدم العقل، وانتشار الكتب الجديدة، واعتدال طبائع المجتمع، فعله لدى أولئك الذين يوجهون مصائر تلك الشعوب؟ أفلم نلاحظ أن وجه أوروبا بأسرها تقريبا قد تغير خلال حقبة الخمسين عاما المنصرمة؟). أسئلة فولتير التي تحمل وجهين من الاستفهام: الإنكاري والتقريري، في الوقت نفسه، تؤكد على بداية تبلور وعي الإنسان الأوروبي وتجاوز مرحلة الدوغمائية اللاهوتية، وتوسم استشراف مستقبل منير وواعد بفضل رجال الحركة الإنسانية والإصلاح.

يواصل فولتير طرح أسئلته، لكن هذه المرة، يوجهها إلى الممسكين بدفة الحكم، والمتهيئين لشغل أعلى المناصب، داعيا إياهم إلى التمعن في أسئلته: (هل ينبغي أن نتخوف من أن يتسبب الحلم في نشوب فتن كالتي أحدثتها القسوة؟ هل ما حصل في ظرف بعينه محتم أن يتجدد في ظروف مغايرة؟ هل تبقى الأزمنة، والآراء، والعادات واحدة لا تتغير؟).[13](فولتير،2009،ص31)

إن الأوضاع القائمة قد بلغت من الفساد والعفن، ما جعل فولتير متيقنا من أن أي تغيير سوف لن يكون بالسوء والانحطاط التي بلغته مع تلك الأوضاع. فإذا كانت القسوة، واللاتسامح، والتزمت، قد جرت أوروبا نحو الحضيض، فمن المؤكد أن الاستعاضة عن ذلك بالتسامح والتآخي سيكون بالتأكيد أرحم بكثير، فما الذي يرغمنا على الخضوع والاستكانة لحكم الواقع وإلى الأعراف والتقاليد نفسها التي جرت على أوروبا الويلات؟ ما الخطب في التغيير؟ ما المشكلة في تقبل وجود آراء وقائدة مختلفة عنا؟ يتساءل فولتير، هل من المقدر أن نعيش في زمن واحد مرتهن بآراء تشدنا إلى ماضي الخلافات العرقية والمللية التي تجعل أوروبا تعايش زمنا واحد متكررا وإلى ما

لا نهاية وبشكل مأساوي؟ مخاطبة فولتير للعصبة الحاكمة، هو دعوة منه لأن تلتزم أجهزة الحكم الحياد وعدم الانجرار نحو فئة ضد فئة أخرى؛ فالتسامح الديني يستلزم ألا يكون للدولة دين، لأن خلاص النفوس من شأن الله وحده. ثم إن الله لم يفوض أحدا في أن يفرض على أي إنسان دينا معينا، إن قوة الدين الحق كامنة في اقناع العقل، أي كامنة في الإنسان.

يتحدث المؤرخ الكبير إدوارد جيبون عن هذا الوعي الذي بدأ يشكل ملامح أوروبا بدايات عصر النهضة، مرجعا ذلك لعدة عوامل لعل من أبرزها تعدد المآسي التي تعرض لها الإنسان الأوروبي جراء التعصب الديني والمذهبي، وكأن أوروبا قد ضاقت ذرعا بهذا الدين الذي أصبح تستباح باسمه جميع المحرمات، وترتكب أيضا أفظع الجرائم، كل هذا كان قد ولد فتورا في التقوى، وانصرافا عن الإيمان بواقعية المعجزات والخوارق تاريخيا.

يقول جيبون: (ومهما يكن من رأي في معجزات الكنيسة الأولى في صدر المسيحية على عهد الحواريين، فإن هذه النعومة المستسلمة البارزة بروزا عظيما في طبع المؤمنين في القرنين الثاني والثالث أثبتت أنها ذات فائدة طارئة لقضية الحق والدين. فثمة شك دفين، بل قهري لا إرادي، يلازم في العصور الحديثة أكثر الناس نزوعا إلى التقى والورع. فإن إقرارهم بالحقائق الخارقة للطبيعة إنما هو رضا جاد أقل كثيرا منه إذعانا فاترا وسلبيا).[14] (إدوارد جيبون،1998،ص254)

إن الشك الدفين والقهري واللاإرادي، الذي بدأ يتسلل حتى إلى أتقى وأورع الناس في أوروبا في ذلك الوقت، يمتد إلى التأصيل الفلسفي اليوناني مرورا بالفلسفة الإسلامية الرشدية، فمع ابتعاد الدين عن منابعه الأولى وتحرره شيئا فشيئا من الوصاية التاريخية، ومع تزايد الخلافات حول تبرير عقلاني لكل تلك الحروب الدينية التي طحنت أوروبا القرون الوسطى وحتى عصر النهضة، تنامى وعي بتفاهة القضايا الدينية الخلافية التي كانت على مر الزمان ممولا ووقودا للتعصب والتزمت المذهبي. كان كل هذا قد شكل حافزا لظهور جماعة من المفكرين وجهوا سهام نقدهم للدين. فلسفة التسامح هذه تكررت وتعددت من خلال فلاسفة عديدون فقد كتب جون لوك (1632-1703) من قبل رسالة تحمل نفس عنوان رسالة فولتير: "**رسالة في التسامح**" كما تصدى عديد فلاسفة التنوير والحداثة بعد ذلك لنقد الدين نفسه.

من المسلمات الخاطئة، أن الفكر الديني، وخاصة المسيحي منه، قد استقال أو أحيل إلى تقاعد قصري وعرف تقهقرا واضحا، وقضي عليه إلى غير رجعة، على يد كل من الإنسانيين ورجالات النهضة والتنوير، وعلى يد الفتوحات العلمية التي شكلت صدمات عجلت في تصدع المكانة التي

كانت تحتله الكنسية كسلطة مهيمنة ووصية على الحقيقة في الغرب، وشكلت شرخا عميقا بين القرون الوسطى والعصور الحديثة. ومن الأفكار الشائعة أيضا أن الفكر التنويري والحديث الأوروبيين لم يحاولا محاورة الفكر الكلاسيكي واللاهوتي، بل أعلنا ويشكل راديكالي قطيعة وتجاوزا لكل ما يمت بصلة للقرون الوسطى الأوروبية.

غير أن نظرة متفحصة وجادة لكبار الفلاسفة الغربيين في عصري النهضة والأنوار، وبالخصوص الجرمانيين منهم، تؤكد جدية اهتمامهم بموروثهم المسيحي، وتؤكد الأهمية الكبيرة التي أولوها لدراسته، قبل أن يأخذوا منه موقفا مناوئا أو مناصرا. وينطبق هذا على ديكارت، واسبينوزا، هوبز، وفولتير، ولوك، وكانط ...، وغيرهم.

لم يقض إذن على الفكر الكلاسيكي اللاهوتي الغربي بمجرد قيام الثورات الاجتماعية والسياسية والإعلان عن التفريق بين الكنيسة والدولة، بل ظل فكرا في العمق نشيطا مثابرا في الكليات والمعاهد الدينية المنتشرة في كل بلاد أوروبا، إلى أن حان الوقت ليبعث من جديد من رماد الفكر النقدي أواخر القرن التاسع عشر، حاملا الجديد من القيم في محاولة بناء فهم جديد للواقع الرمزي للإنسان الأوروبي. بكلمة أخرى، إذا كانت الكنيسة قد فقدت سيطرتها على السلطة السياسية، فإنها لم تفقد دورها الروحي والفكري والاجتماعي.[15] (يورغن هابرماس،2013،ص20)

ابتداء من عصر النهضة برزت محاولات كانت تشوبها في أحايين كثيرة صراعات عنيفة لأجل الحد من السلطة السياسية للكنيسة، وعقلنة الدين، ونزع الأسطرة عنه، وإنقاذه من الخرافة. لكن في عصر الأنوار أصبح هذا اللاهوت تحت رحمة العقل، فقد عمل الأنوار على تفريغ الدين من العقائد والشعائر والممارسات الطقوسية، ثم توظيفه بطريقة براغماتية بعد ذلك لخدمة أخلاق علمانية في تمهيد لنشأة التدين الذاتي والطبيعي، الدين الذي يتبعه كل شخص حسب قناعته وحريته من دون وصاية من أي جهة أو جماعة مهما كانت، بالإضافة إلى هذا فإن للدين الذاتي أو الشخصي البحث ميزة أخرى؛ وهي أنه يمكنه أن يعيش حتى في أكثر العصور علمية دون أن يعكر صفوه شيء طالما أنه يتجنب التورط في أية تأكيدات يمكن للعلم أن يدحضها.

المراجع:

1- إدوارد جيبون: اضمحلال الحضارة الرومانية ، تر. محمد علي أبو درة، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998

2- دوريندا أوترام: التنوير، تر. ماجد موريس ابراهيم، لبنان: دار الفارابي، 2008

3- ريتشارد تارناس: آلام العقل الغربي: فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم، تر. فاضل جتكر، المملكة العربة السعودية: العبيكان وكلمة، 2010

4- رينيه ديكارت: مقال عن المنهج: لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم، تر. محمود محمد الخضيري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.

5- فولتير: رسالة في التسامح، تر. هنرييت عبودي، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009

6- فويرباخ: ماهية الدين: قضايا أولية لإصلاح الفلسفة ونصوص أخرى، تر. وتأليف أحمد عبد الحليم عطية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 2007

7- كارل ماركس وفريدريك انجلس: حول الدين، تر. ياسين الحافظ، ط.2، بيروت: دار الطليعة، 1981

8- محمد أركون: الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، تر. هاشم صالح، دار الساقي، ط.2، لبنان، 2001

9- محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم: دراسات ونصوص في الإيديولوجيا المعاصرة: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1982.

10- نصر حامد أبو زيد: النص، السلطة، الحقيقة: الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، المغرب، 1995.

11- هانز غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، تر. و تق. محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، ط2 ، الجزائر، 2006.

12- هربت ماركيوز: نظرية الوجود عند هيجل، تر. إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1990.

13- يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر: جدلية العلمنة العقل والدين، تع. و تق. حميد لشهب، جداول، بيروت.2013.

14- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر: كلمات عربية للترجمة والنشر،2012

15- - André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, presses universitaires de France,11e édition, Paris,1972.
16- - E. Kant, Critique de la faculté de juger, Paris, Gallimard, 1965
17- F. Nietzsche, Par-delà le bien et le mal. Prélude d'une philosophie de l'avenir, Paris, Gallimard, 1971
18- -G.H.Hartman,Saving the Text, Literature/Derrida/Philosophy, Baltimore-Londres, Johns, Hopkins, Univ. Press, 1981.

* . الدوغمائية أو الجزمية أو الدوغماتية: (Dogmatique) يعود أصل الكلمة إلى اليونانية، والتي تعني "الرأي" أو "المعتقد الأوحد" تستخدم كلمة الدوغمائية غالباً للإشارة إلى عقيدة أو مبدأ لديه مشكلة الزعم بالحقيقة المطلقة. كما أن من سمات الدوغمائية هي القطع برأي أو معتقد بغض النظر عن الحقائق أو ما يحصل على أرض الواقع، وهو ما يسمى في اللغة العربية ب "التعسف". تستخدم كلمة دوغمائية، أيضا، لوصف الرأي غير المدعوم ببراهين. والذي صاغته سلطة سياسية أو فلسفية أو دينية. والدوغمائية هي التعصب لفكرة معينة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشته، وهي أيضا حالة من الجمود الفكري لدرجة رفض الاطلاع على الأفكار المخالفة.. وهي تمثل الاستبدادية والمعصومية والدمغية أو اللادحضية، أي الزعم بأن قولا معينا غير قابل للدحض بتاتا، والقبول الخانع (من قبل الملتزمين). واللاشكية لب فكرة الدوغمائية.

* ـ خوري: الجمع : خوريُّون وخوارنة رتبة كَنَسية.

* ـ الترتيل الجريجوري أو الغناء الجريجوري: بالفرنسية (Chant grégorien) موسيقى كورالية لاتينية، كنت تستخدم في الطقوس الدينية الرسمية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وهو فن موسيقي غنائي جاد، ذو سير لحني منفرد (أحادي الصوت) (Monophonie) غير مرافق بآلات موسيقية. سميت على اسم القديس جريجوري الأول أو الملقب بالأكبر، بابا الكاثوليكية من (590-604) بعد الميلاد . الرجل كان ذواقا للموسيقى وهو من جمع ونظّم موسيقى الطقس الديني الروماني حول 600 ميلادية. والموسيقى الكورالية هي أحد أكثر الممارسات الدينية السائدة عبر العالم. كانت ترتيل النصوص الدينية وخلال قرون طويلة، تعتمد ألحان بسيطة مع إيقاعات منسجمة مع ملفوظ النص. يؤدى هذا النوع من الغناء في جماعة (كل الأصوات التي تغني نفس اللحن في نفس الوقت) ودون مصاحبة لآلات موسيقية يعرف بالغناء البسيط أو الترتيل البسيط.

[1] ـ ريتشارد تارناس: آلام العقل الغربي: فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم، تر. فاضل جتكر، المملكة العربة السعودية: العبيكان وكلمة، 2010، ص 205.

[2] ـ ينظر كتاب: كارل ماركس وفريدريك انجلس: حول الدين، تر. ياسين الحافظ، ط.2، بيروت: دار الطليعة، 1981، ص 77.

*. إن الاتحاد الذي جمع العقل والإيمان يعبر عن أحد أهم التناقضات والمفارقات التي عرفتها العصور الوسطى ولذا وجب أن نتساءل: كيف قبل العقل ممثلا في الفكر الفلسفي بأن يكون خادما ومبررا للاهوت القائم على الإيمان والتسليم ودوغماطيقية المعتقد؟ يقول برهييه: (كبرى مفارقات العصر الوسيط هي على وجه التعيين توكيد التضامن بين التصورين: ففهم الحقيقة بصدد الله لا يمكن أن يكون شيئا آخر على حد زعم القائلين بهذا التضامن غير معرفة حقائق الإيمان؛ وعلى العقل، من حيث أنه فهم بالإلهام، أن يتمم الإيمان). ينظر كتاب: اميل برهييه: **تاريخ الفلسفة:** العصر الوسيط والنهضة، تر. جورج طرابيشي، ج.3، ط.2، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1988، ص 22.

* ـ الكاثوليكية: هو مصطلح واسع يصف مجموع المؤمنين، ومؤسسات، وعقائد، ولاهوت، وقداس، وأخلاق، وقيم الروحية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية. يصف مصطلح الكاثوليكية جميع الكنائس المسيحية التي تقر بسيادة البابا والتي تجمعها شراكة مع الكرسي الرسولي. تعتبر الكاثوليكية أكبر طوائف الدين المسيحية. يقع مركزها الروحي في مدينة الفاتيكان، مقر بابا الكاثوليك، يتواجد أتباعها في كثير من دول العالم وخاصة في جنوب أوروبا وأمريكا اللاتينية. يستند اللاهوت الكاثوليكي على قانون نيقية للإيمان. تعلم الكنيسة الكاثوليكية أنها كنيسة واحدة جامعة مقدسة ورسوليَّة التي أسسها يسوع المسيح، وبأن أساقفتها هم خلفاء رسل يسوع، وأن البابا هو خليفة القديس بطرس وعليه منح الأسبقية من قبل يسوع المسيح. وتؤكد أنها تمارس الإيمان المسيحي الأصلي، وتحتفظ بالعصمة، وتنتقل من خلال التقاليد المقدسة. تعكس الكنيسة اللاتينية، والكنائس الكاثوليكية الشرقية الثلاثة والعشرون، إلى جانب الجماعات والأوامر الرهبانية المختلفة، مجموعة متنوعة من التأكيدات اللاهوتيَّة والروحية في الكنيسة.

[3] ـ ينظر كتاب: ريتشارد تارناس: آلام العقل الغربي: فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم، تر. فاضل جتكر، المملكة العربة السعودية: العبيكان وكلمة، 2010، ص 206.

[4] ـ ينظر كتاب: فويرباخ: ماهية الدين: قضايا أولية لإصلاح الفلسفة ونصوص أخرى، تر. وتأليف أحمد عبد الحليم عطية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 2007، ص 335.

[5] ـ ينظر كتاب: فويرباخ: ماهية الدين: قضايا أولية لإصلاح الفلسفة ونصوص أخرى، تر. وتأليف أحمد عبد الحليم عطية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 2007، ص 335.

[6] ـ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر: كلمات عربية للترجمة والنشر،2012، ص33.

[7] ـ ينظر كتاب ريتشارد تارناس: آلام العقل الغربي: فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم، تر. فاضل جتكر، المملكة العربة السعودية: العبيكان وكلمة، 2010، ص 264.

[8] ـ فويرباخ: ماهية الدين: قضايا أولية لإصلاح الفلسفة ونصوص أخرى، تر. وتأليف أحمد عبد الحليم عطية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 2007، ص 334.

[9] ـ كارل ماركس وفريدريك انجلس: حول الدين، تر. ياسين الحافظ، ط.2، بيروت: دار الطليعة، 1981،ص 30.

* ـ البروتستانتية: هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي. تعود أصول المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية. وهي اليوم واحدة من الانقسامات الرئيسية في العالم المسيحي مع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية. وتعتبر الكنيسة الأنجليكانية في بعض الأحيان كنيسة مستقلة من البروتستانتية. نشأ اللاهوت البروتستانتي على يد مارتن لوثر الذي يمكن رد جميع البروتستانت أو الإنجيليين في العالم إلى أفكاره، في ألمانيا وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر،

تتفرع منها العديد من الكنائس الأخرى تتراوح من 28 - 40 إلى كنيسة ومذهب. والبروتستانتية مذهب عدد من الدول بما في ذلك الدنمارك وبريطانيا والنرويج والسويد.. إلخ. أبرز مقومات فكر البروتستانت اللاهوتي هي أنّ الحصول على الخلاص أو غفران الخطايا هو هدية مجانية ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصا، وبالتالي ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح؛ وثانيا رفض «السلطة التعليمية» في الكنيسة الكاثوليكية والتي تنيط بالبابا القول الفصل فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدس معتبرا أنّ لكل إمرئ الحق في التفسير؛وثالثا أنّ الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمعرفة المختصة بأمور الإيمان؛ رابعا معارضة سلطة الكهنوت الخاص، باعتبار أن جميع المسيحيين يتمتعون بدرجة الكهنوت المقدسة، وخامسا السماح للقسس بالزواج.

[*] ـ مارتن لوثر (1483 - 1546) راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، وأحد أعلام عصر الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران. نشر في عام 1517 رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها باللاهوت الكنسي، وسلطة البابا في الحل من "العقاب الزمني ل لمخطيئة"؛ رفض التراجع عن نقاطه الخمسة والتسعين، بناء على طلب البابا ليون العاشر عام 1520 وطلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة ممثلة بالإمبراطور شارل الخامس، ما أدى به للنفي والحرم الكنسي وإدانته مع كتاباته بوصفها مهرطقة كنسيا وخارجة عن القوانين المرعية في الإمبراطورية. ورغم أن جميع البروتستانت أو الإنجيليين في العالم يمكن ردهم إلى أفكار لوثر، إلا أن المتحلقين حول تراثه يطلق عليهم اسم الكنيسة اللوثرية. قدّم لوثر أيضا ترجمة خاصة به للكتاب المقدس بلغته المحلية، بدلاً من اللغة اللاتينية التي كانت اللغة الوحيدة التي سمحت الكنيسة الرومانية باستخدامها لقراءة الكتاب المقدس، ما أثر بشكل كبير على الكنيسة وعلى الثقافة الألمانية عموما، حيث عزز الإصدار من قياس مفردات اللغة الألمانية وطورت بذلك أيضا مبادئ الترجمة، وأثرت ترجمته لاحقا على ترجمة الملك جيمس باللغة ا لإنكليزية للكتاب المقدس؛ كما ألّف لوثر عددا كبيرا من التراتيل الدينية التي أثرت في تطور فن الترنيم في الكنائس. في السنوات الأخيرة من حياته، تزامنا مع مرضه وتدهور حالته الصحية، كتب لوثر ضد اليهود وطالب بالتضييق على حرياتهم وحرق كنسهم ومنازلهم، ما دفع إلى رشقه بمعاداة السامية.

[10] ـ ينظر كتاب دوريندا أوترام: التنوير، تر. ماجد موريس ابراهيم، لبنان: دار الفارابي، 2008، ص 128.

[*] ـ الأسرار المقدسة تعتبر عقيدة في الكنيسة الكاثوليكية وهي تتلخص في سبعة أسرار لا تؤدى إلا عن طريق قسيس منها: سر الاعتراف، وسر التناول، والعماد، والزواج، والموت...إلخ. فجاء لوثر ورفضها ليجعل الصلة مباشرة بين الله والإنسان الفرد.

[*] ـ فيلولوجيا أو فقه اللغة "Philologie": مصطلح يستخدم للدلالة على مجال دراسي يتناول اللغة من الزاوية التاريخية والمقارنة.

[*] ـ توماس كرانمر (1489 - 1556) قائد عملية الإصلاح الإنجليزي، وكبير أساقفة كانتربري خلال عهدي هنري الثامن ملك إنجلترا، وولده إدوارد السادس، ولفترة قصيرة من عهد ماري الأولى. ساعد كرانمر في تدبير حيلة مناسبة لهنري الثامن ليتمكن من الحصول على الطلاق من زوجته الأولى كاثرين أراغون، وهو الأمر الذي تطور إلى انفصال الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية. وبمساعدة توماس كرومويل، ممرا قانونا ليجعل للملك السيادة المطلقة على الكنيسة في مملكته.

* ـ الإنسانية كما قد تعرف باسم الإنسانوية: كلمة "إنساني "Humaniste" مشتقة من المصطلح الإيطالي "umanista" العائد للقرن الخامس عشر ويعني المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني واللاتيني الكلاسيكي. وهي مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كان فرداً أو جماعة، وتفضل عموماً التفكير والاستدلال (العقلانية، التجريبية) على المذاهب أو العقائد الثابتة أو المنزلة (الإيمانية). تنوع معاني مصطلح الإنسانية جعله غامضاً، فقد كان هناك التباس مستمر باستخدام هذا المصطلح، لأن حركات فكرية مختلفة كانت قد عرفت نفسها باستخدامه عبر الزمن. وتشير الإنسانية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية إلى اتجاه يؤكد بشكل خاص على فكرة "الطبيعة البشرية" (خلافاً لـ "الا إنسانية"). وقد أصبحت العديد من الحركات الإنسانية في العصر الحديث منحازة بقوة إلى العلمانية، حيث يستخدم مصطلح الإنسانية عادةً كمرادف للاعتقادات غير التوحيدية فيما يتعلق بأفكار مثل المعنى والهدف، ومع ذلك فقد كان الإنسانيون الأوائل متدينيين، مثل أولريش فون هوتن الذي كان مؤيداً قوياً لمارتن لوثر والإصلاح البروتستانتي. حاولت الحركات الإنسانية أثناء فترة عصر النهضة في أوروبا الغربية إظهار فائدة اكتساب التعلم من مصادر كلاسيكية تعود لما قبل المسيحية لغايات العلمانية مثل العلوم السياسية والخطابة، أي العودة إلى الرافدين اليوناني والروماني.

*ـ دسيديريوس إيراسموس باللاتينية (إراسم): (Desiderius Erasmus Roterodamus) عاش (1466 – 1536) فيلسوف هولندي، من رواد الحركة الإنسانية في أوروبا، أسدى خدمات عظيمة للتعليم، علاوة على نشره الكتب التربوية واتصاله المباشر بالطلبة والمراسلات الشخصية وقد تناول في مؤلفاته معظم مظاهر التربية وقضاياها الهامة مثل الطريقة والمحتوى وآداب الطفولة وتعليم اللغة. كان يكتب باللغة اللاتينية. تمتع إيرازموس بشخصية مستقلة كما عرف عنه طبعه الساخر في كتابه "مديح الحمق"، قام بالتعليق على نصوص العهد الجديد، وحاول أن يضع مبادئ الحركة الإنسانية حسب التوجهات المسيحية، كما أراد أن يقرب بين أتباع المذهب الكاثوليكي وأتباع الحركات الإصلاحية الجديدة.

**ـ فرانسوا رابليه بالفرنسية: (François Rabelais) (ولد ما بين 1483 و 1494– توفي1553).هو كاتب فرنسي وطبيب وراهب وعالم باليونانية وأحد إنسانيي النهضة. درس رابليه اليونانية واللاتينية والعلوم والقانون وفقه اللغة في جامعة بواتييه، ثم التحق بجامعة مونبلييه. يعتبر رابليه أحد أعظم الكتاب على مستوى العالم، وكذلك أحد مؤسسي أسلوب الكتابة الأوروبي الحديث. تعد رواية غارغانتوا وبانتاغرويل أنجح أعماله على الإطلاق. كان رابليه لفترة قصيرة راهباً ولكنه شعر أنه لا يستطيع أن يتحمل بجدية هذه الحياة لأسباب عدة تدخل في صميم المبادئ الدينية والممارسات، فدرس الطب، ثم مارس التطبيب في مدينة ليون، إلا أنه سئم ذلك أيضاً، وراح يتجول في أرجاء أوروبا الغربية. وخلال الفترة التي مارس فيها الطبابة كتب روايتين هما: حياة غارغانتوا وبانتاغرويل، وأصدرهما باسم مستعار، فلقيتا نجاحاً كبيراً، وهما تزخران بالسخرية والعمق، وبالخشونة في أجزاء منهما.

***ـ السير توماس مور Sir Thomas More (1478 – 1535) كان قائداً سياسياً ومؤلفاً وعالماً إنجليزياً عاش في القرن السادس عشر. يتذكر عادة لمفهوم اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة في كتابه اليوتوبيا. وهو قديس حسب الكنيسة الرومانية

الكاثوليكية. عارض طلاق هنري الثامن لكاثرين من آراغون، ورفض الاعتراف به كرئيس للكنيسة الرومانية الكاثوليكية في إنجلترا، فحبس وقطع رأسه في برج لندن.

* ـ أبرز مقومات فكر لوثر اللاهوتي هي أنّ الحصول على الخ لاص أو غفران الخطايا هو هدية مجانية ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصا، وبالتالي ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح؛ وثانيا رفض «السلطة التعليمية» في الكنيسة الكاثوليكية والتي تعطي للبابا القول الفصل فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدس، يعتبر لوثر أنّ لكل إمرئ الحق في التفسير؛ وثالثا أنّ الكتاب هو المصدر الوحيد للمعرفة المختصة بأمور الإيمان؛ وعارض رابعا سلطة الكهنوت الخاص باعتبار أن جميع المسيحيين يتمتعون بدرجة الكهنوت المقدسة، وخامسا سمح للقسيسين بالزواج.

[11] ـ فولتير: رسالة في التسامح، تر. هنرييت عبودي، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009، ص 28.

* ـ يتحدث فولتير في كتابه عن العديد من الفظائع والممارسات والمجازر المرتكبة باسم الدين في عديد من الأقطار الأوروبية: فرنسا إيرلندا إنجلترا هولندا ألمانيا...، ينظر كتاب: فولتير: رسالة في التسامح، تر. هنرييت عبودي، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009، من ص20 إلى 40.

[12] ـ فولتير: رسالة في التسامح، تر. هنرييت عبودي، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009، ص 31.

[13] ـ فولتير: رسالة في التسامح، تر. هنرييت عبودي، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009، ص 29.

[14] ـ إدوارد جيبون: اضمحلال الحضارة الرومانية ، تر. محمد علي أبو درة، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 254.

[15] ـ يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر: جدلية العلمنة العقل والدين، تع. و تق. حميد لشهب، جداول، بيروت، 2013، ص20.